الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا والمقاومة الأمازيغية

ذ. سعيد البوزيدي

الامتدادي القرطاجي في الغرب المتوسطي

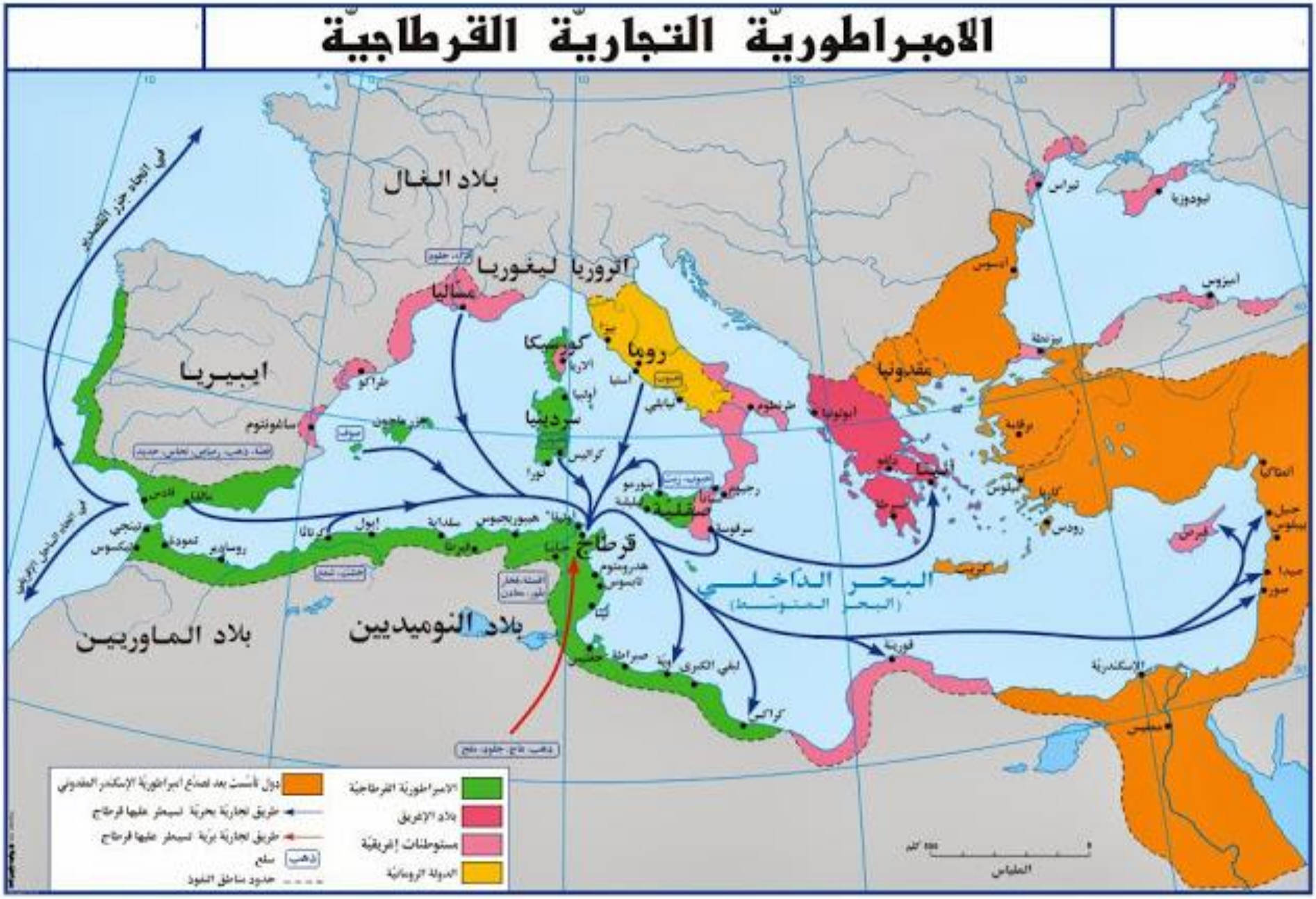

الحروب البونية بين روما وقرطاج

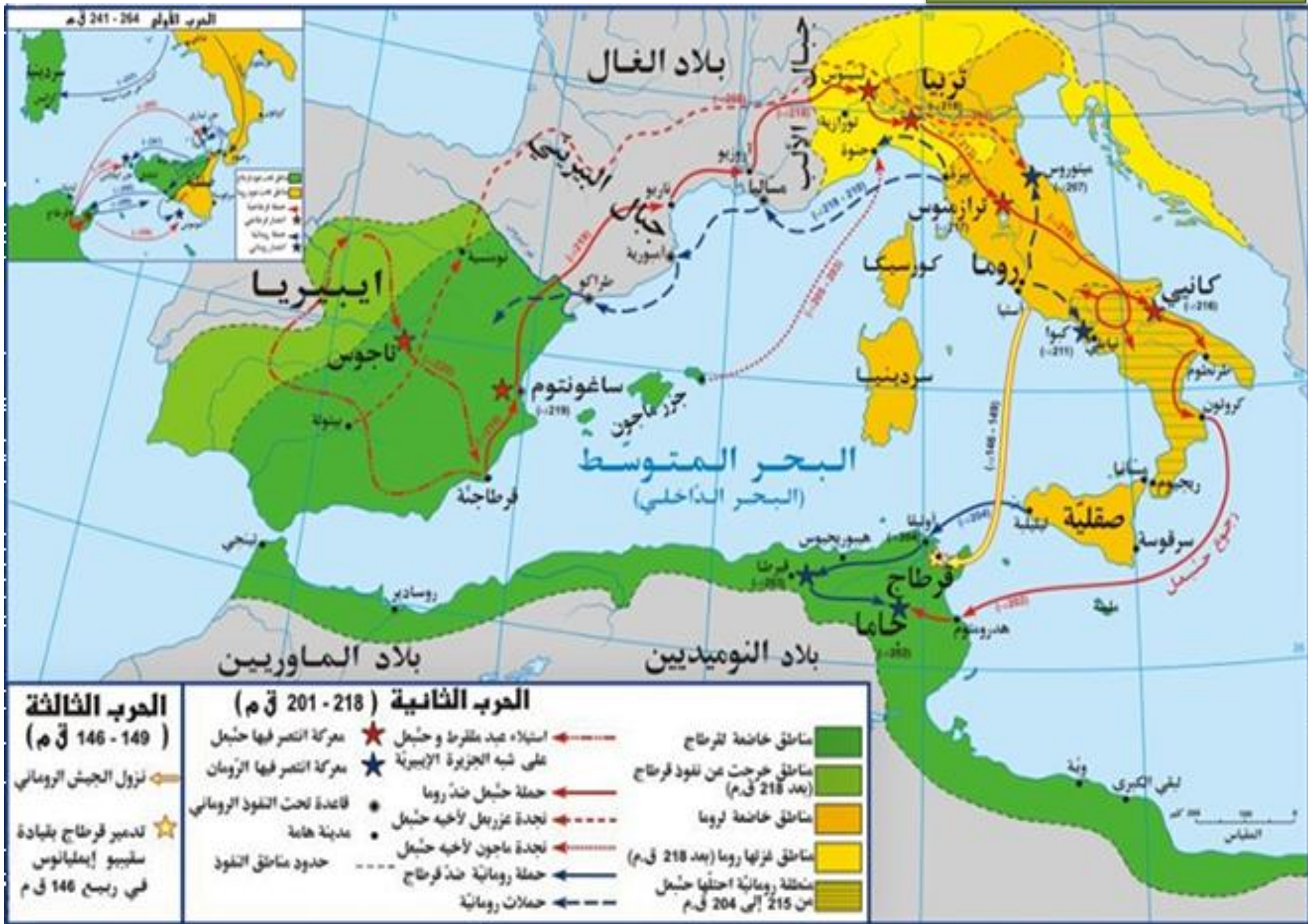

دخول روما إلى شمال أفريقيا بالوكالة

يقول محمد شفيق :

" فبينما كانت كل مملكة من هذه الممالك تحاول جمع الشمل في المنطقة الخاضعة لنفوذها، كانت الحروب تتوالى بين روما وقرطاجة، فنتج من ذلك أن كلا الطرفين المتحاربين صار يغري الأمازيغيين بالتحالف معه، ويستغل التنافس الذي يطبع علاقات الملوك بعضهم ببعض.

وفي أثناء الحرب البونيقية الثانية استطاعت روما، بفضل معرفتها لمعطيات المجال السياسي الإفريقي، أن تكسب صداقة أشد الملوك حقدا على قرطاجة، وهو ماسينيسا، وأن تتحالف معه، فكانت تلك المحاولة هي الثغرة الأولى التي تسربت منها الهيمنة السياسية الرومانية، شيئا فشيئا إلى مراكز الحكم في أقطار المغرب كلها.

اتخذت روما جميع أساليب الترغيب والترهيب، منهجية لها لإغراء الملوك الأمازيغيين بعضهم ببعض، في كل من امتنع أن يكون عميلا لها، واستمرت على تلك الخطة ما يقرب من قرنين، موسعة نطاق سيطرتها في اتجاه الغرب إلى أن قضت على الممالك كلها؛ ولم تبق بصورة شكلية، إلا على عرش موريطانيا.

توظيف الروابط العائلية في التحالفات السياسية : قضية الأميرة سُوفُنِسبِي *Sophonisbé*

بدأت تباشير رغبة الرومان في السيطرة على بلاد ليبيا، أي شمال أفريقيا مع مد يدها إلى الأكليد مسينيسا إبان فترة الصراع القرطاجي الروماني. تجدر الإشارة إلى أن هذا الأخير تلقى تكوينه في دواليب الجيش القرطاجي على رأس الفرسان النوميديين في إسبانيا إلى جوار القائد القرطاجي «*حسدربعل*» والد خطيبته «*سوفنسبي*» ***Sophonisbé***.

وحدث في تلك الأثناء أن عمل القرطاجيون على التقرب من العاهل الماسيسولي سيفكس، الأمر الذي انتهى بزواج سيفكس من سُوفُنِسبِي خطيبة مسينيسا.

نتج عن تطور الأوضاع بالمملكة الماسولية أن وقعت القطيعة بين مسينيسا وقرطاجة، فزحف سيفكس بدعم من قرطاجة على مسينيسا، الذي انهزم واضطر للفرار والالتجاء إلى الكَرمنطيين ***Garamantes***، الذين كانوا يسكنون واحات الفزان جنوب ليبيا.

نزول القائد الروماني سبيون الروماني بإفريقيا وتنزيل سياسة مواجهة الممالك الأمازيغية فيم بينها

في عام 204ق. م.، نزل سبيون الإفريقي، القائد الروماني لأول مرة على أرض إفريقيا قرب أوتيكا، للحد من نفوذ القرطاجيين بأرضي شمال إفريقيا, فعاد الملك مسنيسا من بلاد الكَرمنطيين مؤازرا بفرسانه الأوفياء حيث انهزم القرطاجيون وحليفهم سيفكس الذي وقع أسيرا، وانتصر الرومان وحليفهم مسنيسا.

سمح القائد الروماني سيبيون للملك لمسنيسا باستعادة سيادته على أراضي أجداده إلى جانب ضمه المجال الماسيسولي. سنة 203 ق.م، أي مباشرة بعد انهزام سيفكس وإلقاء القبض عليه، ثم دخول مدينة سرتا العاصمة.

روما وإنهاء حكم المملكة الماسيسولية لسيفاس بدعم الملك الماسولية ماسينسا

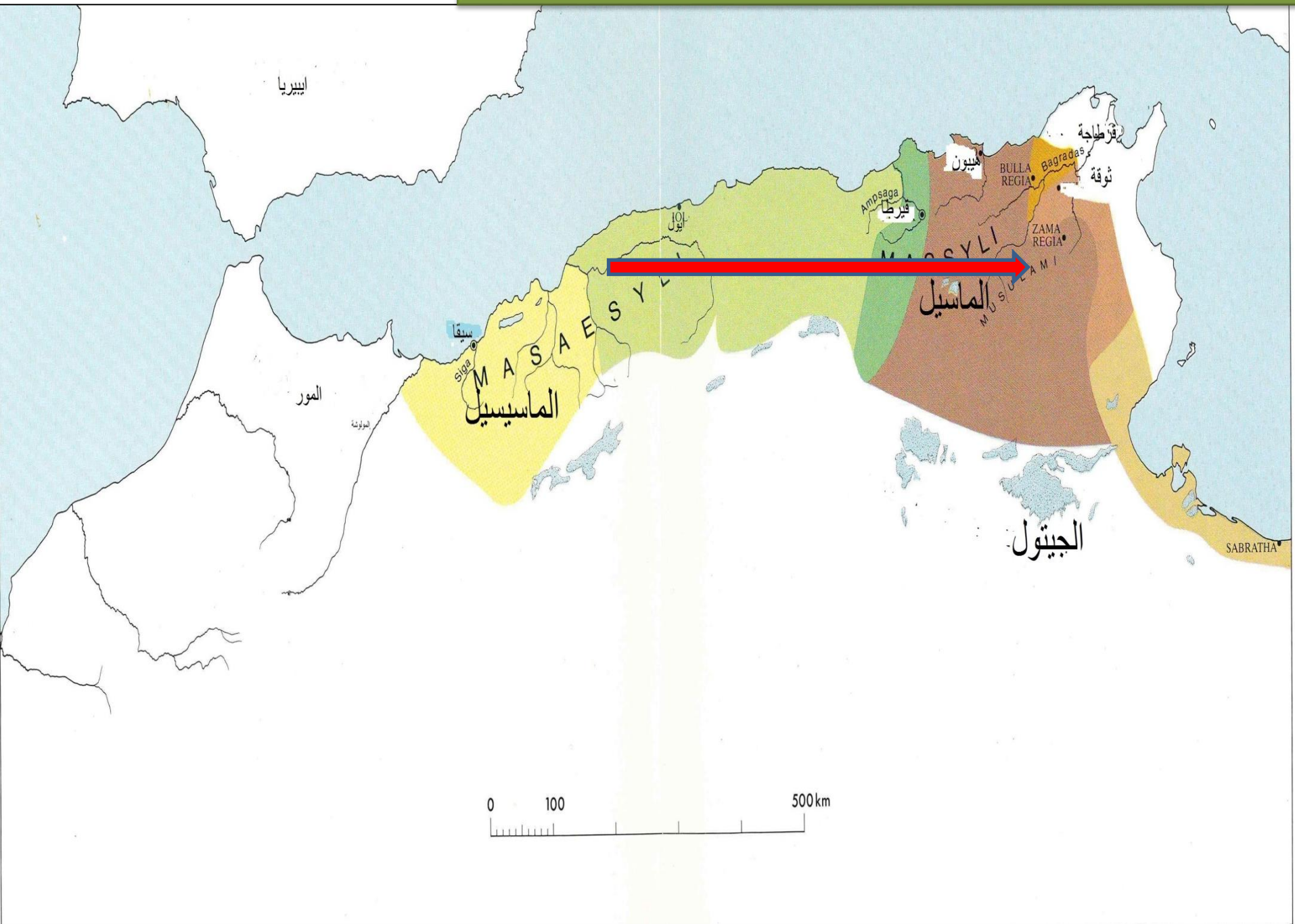

إحداث المملكة النوميدية مكان المملكة الماسولية - الماسيسولية

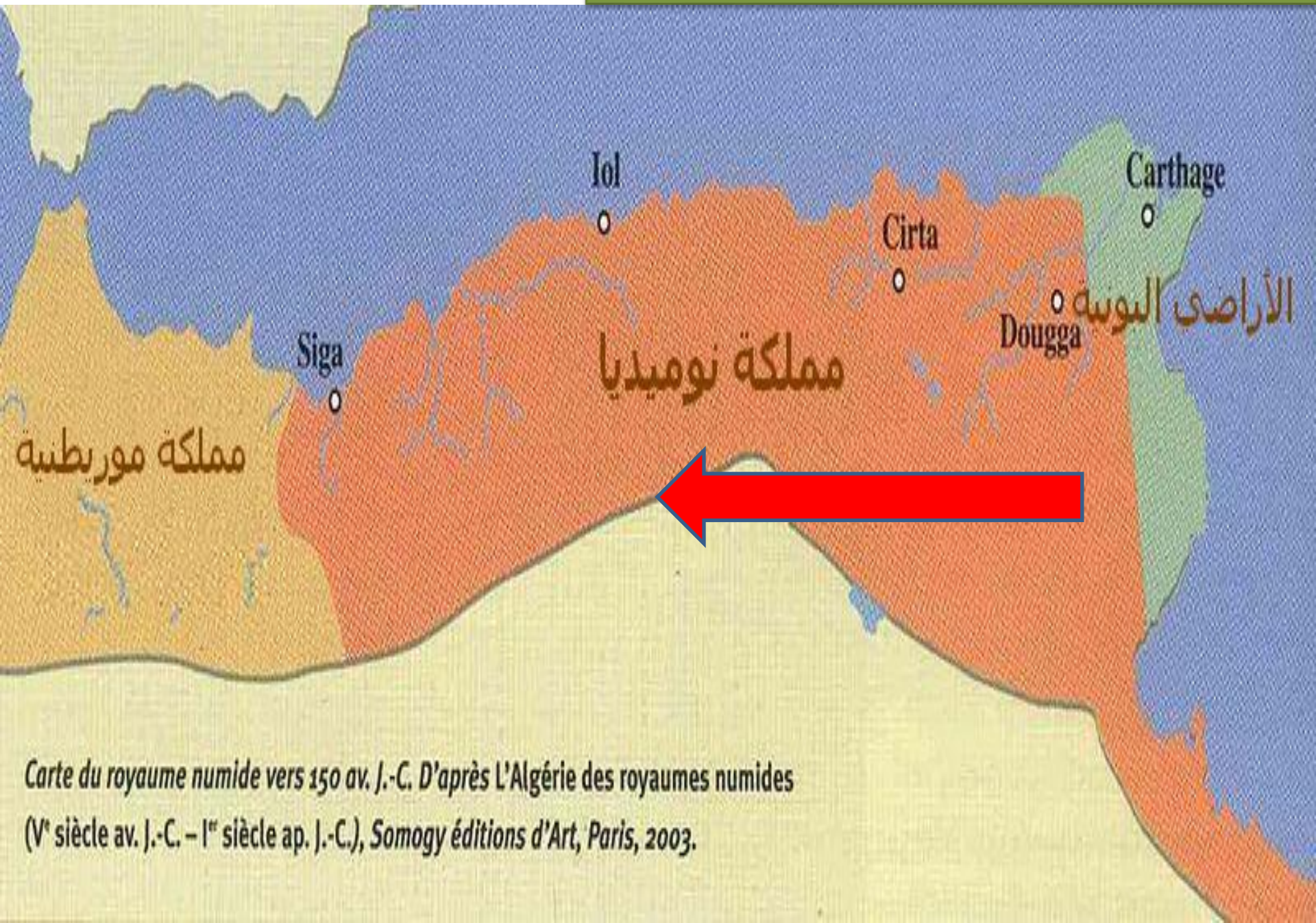

Carte du royaume numide vers 150 av. J.-C. D'après L'Algérie des royaumes numides (V^e siècle av. J.-C. – I^er siècle ap. J.-C.), *Somogy éditions d'Art, Paris, 2003.*

يوغورطا النوميدي : من الولاء والتبعية إلى المقامة للتغلغل الروماني

تهيئ روما ليوغرطة للقيام بهامه

تزخر المصادر اللاتينية بذكر يوغرطة ملك نوميديا، حتى أن المؤرخ سالتيوس اللاتيني أفرد له مؤلفا خاصا، تناول فيه بالتفصيل تاريخ يوغرطة وصراعاته مع الرومان سواء بشمال أفريقيا أو بروما.

بدأ سالتيوس حديثه بالإشارة إلى أن يوغرطة لم يكن ليحمل لقب الإمارة، لأن أمه كانت جارية، ولكنه كان يتحلى بجملة من الفضائل والمزايا، كالجمال الخلقي والأخلاقي.

تولى يوغرطة تجريدة من الجنود النوميديين في إسبانيا لمحاربة نومنصا Numance ومُؤازرة الرومانيين

يوغرطة وتولي مقاليد الحكم في المملكة النوميدية

احتدم الصراع بين حفدة الملك مسينسا : هيمبسال وآذربعل وابن عمهم ويوغرطة. فنجح يوغرطة في اغتيال هيمبسال، بينما فر آذربعل إلى روما.

قرر المجلس تقسيم نوميديا إلى مملكتين اثنتين : إحداهما شرقية بعاصمتها وموانئها الكثيرة كانت من نصيب آذربعل، بينما كان القسم الغربي من نصيب يوغرطة.

يوغرطة والحرب ضد الرومان في روما

أشكال حرب يوغرطة للرومان

روي سالوست أن جنود يوغرطة أقدموا في نشوة النصر على ذبح أذربعل ومن معه من التجار الرومان الذين تحصنوا بالمدينة.

حصل يوغرطة على مؤازرا بزعماء قبائل نوميديا الشرقية

نقل يوغرطة الصراع من شمال أفريقيا إلى العاصمة روما من خلال :

- - ربط علاقات مع أعضاء مجلس السينا وتكوين لوبي للدفاع عن يوغرطة
- - أورد المؤرخ سالوست أن يوغرطة أقدم على أرشاء مجموعة من أعضاء مجلس الشعب
- - حصل على دعم رجال الأعمال الرومان وقدموا له مساعدات مالية

اعتبرت روما هذه المذبحة عملا بشعا وأصبحت تخشى أن تطير شرارة الحرب إلى ولايتها بإفريقيا المجاورة. وهكذا حصل إجماع في روما على محاربة يوغورطا ، فتولى القائد الروماني كيوس مريوس *Caius Marius* ، قيادة الحرب بشمال إفريقيا. وقد تمكن من تخريب قواعد يوغورطة ومراكز تموينه.

مرحلة طلب القبض على يوغورطة

انتهت الحرب بالاتفاق بين الرومان وبوكوس، ملك موريطانيا، عمد بموجبها هذا الأخير على القبض على حليفه وصهره (زوج ابنته) يوغورطة، وتسليمه للرومان سنة 105 . ق. م

لوحة تبين القبض على يوغورطة بريشة الفنان

Joachin Ibarra

تخليد انتصارروما على يوغرطة

مقاومة المؤسسة الملكية المورية لنهج سياسة الاستدراج الروماني

روما واتباع سياسة الاستدراج بالمملكة المورية

مرحلة التحالف النوميدي- الموري

يعود الفضل إلى المؤرخ سالستيوس في إظهار دور بوخوس الأول في حرب يوغرطة ضد الرومان، جاعلا منه أحد الأطراف الأساسية التي رجحت كفة انتصارهم حينما تمكن القائد الروماني سولا من استدراجه إلى صفوف الرومان، بعدما كان صهرا وحليفا ليوغرطة. يشير سالسيتيوس أن بوخوس كان مترددا في موقفه، فقد انضم، في البداية، إلى جانب يوغرطة وأمده بمساعدات عسكرية مكنته من إلحاق بعض الهزائم بالقوات الرومانية في المنطقة.

مرحلة التحالف مع الرومان

عقب انتهاء "معركة سرتا" التي انتصر فيها الرومان على التحالف النوميدي-الموري أرسل بوخوس إلى ماريوس بعثة تترجاه باسم الملك بأن يبعث إلى هذا الأخير "*رجلين موثوقا بهما كامل الثقة ليفاوضهما في مصالح الشعب الروماني*".

مرحلة الخضوع للرومان

بعدما تم تشديد الخناق على الملك الموري بوخوس وإضعافه لم يكن لهذا الأخير خيار سوى التعلق بفضائل الشعب الروماني وبنعم القائد سولا. فعمل على تسليم يوغورطة إلى الرومان مخلدا انتصار الرومان على يوغورطة، وانتصاره على خصومه الداخليين بإقامته سنة 91 ق. م.، تماثيل لآلهة النصر في معبد الكابيتول بروما.

وفاة الملك بوخوس الثاني واغتصاب روما لمؤسسة العرش الموري

عقب وفاة بوخوس الشيخ سنة 81 ق. م.، تم الاعتراف لأبنائه من طرف القائد قيصر ومجلس الشيوخ الروماني بلقب "الأصدقاء والحلفاء للشعب الروماني". وبذلك تمكن الرومان من إفراغ المؤسسة الملكية المورية حتى من الإمارة، وحصل أبناء بوخوس فقط على حق التحالفات مع الشعب الروماني.

الملك بخوس

تطبيق روما لسياسة نظام فراغ العرش بالمملكة المورية ما بين سنة 33 ق. م إلى 25 ق. م.

اعتمدت روما بعد موت بوخوس الثاني سنة 33 ق. م، نظام "الحماية" لتسيير شؤون الحكم إلى حدود سنة 25 ق. م. واكب هذا الفراغ ارتباط الموريين بالمؤسسات السياسية والعسكرية الرومانية عبر مجموعة من المعاهدات منها :

أولا : حصول أهل طنجي على حقوق المواطنة

ثانيا: قانون الصداقة والتعاون الذي يربط الموريين بالشعب الروماني

ثالثا: معاهدات الانتماء إلى نفوذ أكتافيوس حيث كان بوخوس من بين أنصاره الذين وقفوا ضد أنطونيوس

رابعا: حقوق المواطنة التي منحها مجلس الشيوخ لبعض الرعايا الموريين مثل أهالي طنجة عقب انتفاضتهم ضد بكود.

لذلك، كانت كل من سلطتي العرش والشعب مرتبطتين بالمؤسستين التشريعية والعسكرية الرومانية.

الملك يوبا الثاني واستعادة دعائم حكم المملكة الموريةومقامة الرومان

يميز الباحثون الذين اهتموا بالأحداث العسكرية لهذه الفترة بين مرحلتين :

- تمتد الأولى من تولي يوبا الثاني عرش موريطانيا سنة 25 ق.م إلى حدود 14 م.

تزايد حذة التوتر بين يوبا الثاني والقبائل الموريةأن تفاقم الوضع الداخلي نتيجة الصراعات التي اح
الموريةخاصة التي كانت ترابط على الحدود، حيث تعرضت مجالات تنقلاتها إلى التقليص نتيجة تطبيق الرومان لسياسة الاستقرار على البعض منها ثم إقامتها للمستوطنات داخل الأراضي الموريطانية

-امرحلة حركة تاكفاريناس التي اندلعت سنة 17 م، واستمرت إلى حدود 24 م.

توترت علاقة القبائل الموريةمع سلطة العرش مع اندلاع حركة تاكفاريناس ما بين 17 و 24م، فوجد يوبا الثاني نفسه مرغما على مؤازرة الرومان للقضاء على هذه الثورة خاصة وأن معظم القبائل الجيتولية والموريةوالكرمنتية كانت مساندة "للزعيم الإفريقي تاكفاريناس" الذي رفع شعار "إفريقيا للأفارقة".

مبايعة الملك الموري بطليموس على عرش المملكة المورية انتصار للقوة القبلية المورية على القوة العسكرية الرومانية

عقب وفاة الملك يوبا الثاني، بقيت الظروف غير مساعدة لضم موريطانيا إلى باقي الولايات الرومانية، إذ كانت الأنظار لا تزال مركزة على الحرب مع تكفاريناس. وبذلك لم يجد الرومان بُدّا من مباركة تعيين ابنه بطليموس كخلف للملك يوبا الثاني لا كوارث للعرش الموري، و إنما كملك على الموريين مثله في ذلك مثل سلفه يوبا الثاني.

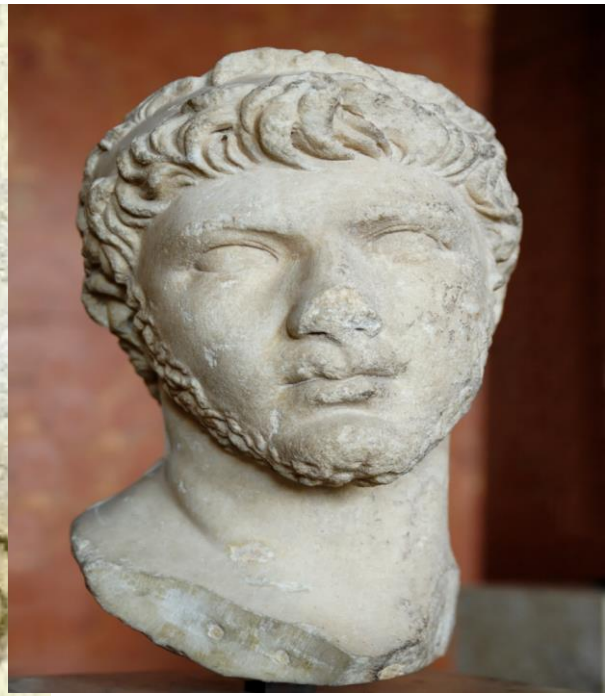

فترة حكم الملك بطليموس

تميزت فترة حكم الملك بطليموس بالرضا العام من خلال الهدوء الذي ساد بموريطانيا. فالجيوش الرومانية لم تتدخل طوال فترة حكم الملك بطليموس في موريطانيا. قد وجدوا فيه من ينافس الإمبراطور الروماني على الأقل في النسب والشرف نتيجة العلاقة الدموية التي كانت تربطه بالعائلة الإمبراطورية في روما من جهة، ومن جهة أخرى بأعرق الأسر الملكية في حوض البحر المتوسط.

لجوء روما إلى العنف الدموي وغتيال الملك بطليموس

تحكي الرو ايات التاريخية أن اغتيال الملك بطليموس من طرف الإمبراطور الروماني "كاليغولا" كان بدافع الغيرة. إذ تم استدعاؤه إلى زيارة رسمية لحضور حفل امبراطوري، ولما دخل الملك بطليموس الى المدرج الاحتفالي، كان يرتدى عباءته الملكية الأرجو انية التي جذبت إعجاب كل الحاضرين في الحفل. وبدافع الغيرة، أمر كاليغولا باغتيال بطليموس، مما أدى إلى تدبير مؤامرة اغتياله خلال أطوار الحفل، وذلك سنة 40 م.

ترجح أغلبية هذه الاهتمامات احتمال مشاركة الملك الموري في محاولة الانقلاب التي خطط لها جيتوليكوس Gaetulicus ضد كليكولا سنة 39 م بروما. إذ لا يُستبعد أن يكون من المساهمين في التخطيط لهذه المحاولة مع عدد كبير من أفراد العائلة الإمبراطورية وعلى رأسهم ليبيديوس Lepidus وجيتوليكوس Gaetulicus بالإضافة إلى كبار مسؤولي الدولة وحاشية الإمبراطور بما فيهم أخو اته أكريبين Agrippine وليفيلا Livilla

تحكي المصادر التاريخية أن اغتيال الملك بطليموس من طرف الإمبراطور الروماني "كاليكولا"، كان بدافع الغيرة. إذ لما "دخل الملك الموري الى مدرجات المصارعين، كان يرتدي عباءة ملكية بلون أرجو اني (اللون الإمبراطوري)، انبهر المدعوون لرونق لباس الملك، مما أثار حفيظة الإمبراطور، فأمر باغتياله سنة 40 م.، وعلى أثرها تم ضم المملكة الموربة إلى باقي الولايات الرومانية بشمال أفريقيا".

إلحاق موريطانيا بباقي الولايات الرومانية و انطلاق المقامة العسكرية

شكلت موريطانيا مختبرا سياسيا طبقت فيه روما أشكالا متنوعة من السياسة الاستعمارية والرامية إلى إخضاع البلاد قانونيا وسياسيا قبل إلحاقها إداريا وعسكرا. ساهمت الأوضاع التي كانت تعيش عليها كل من روما وموريطانيا في تبني سياسة "الاستدراج التدريجي" قبل الإلحاق النهائي لموريطانيا بباقي الولايات الرومانية. فأعقبت فترة فراغ العرش تعيين ملوك تابعين لروما كُلفوا بتطبيق السياسة الرومانية في موريطانيا.

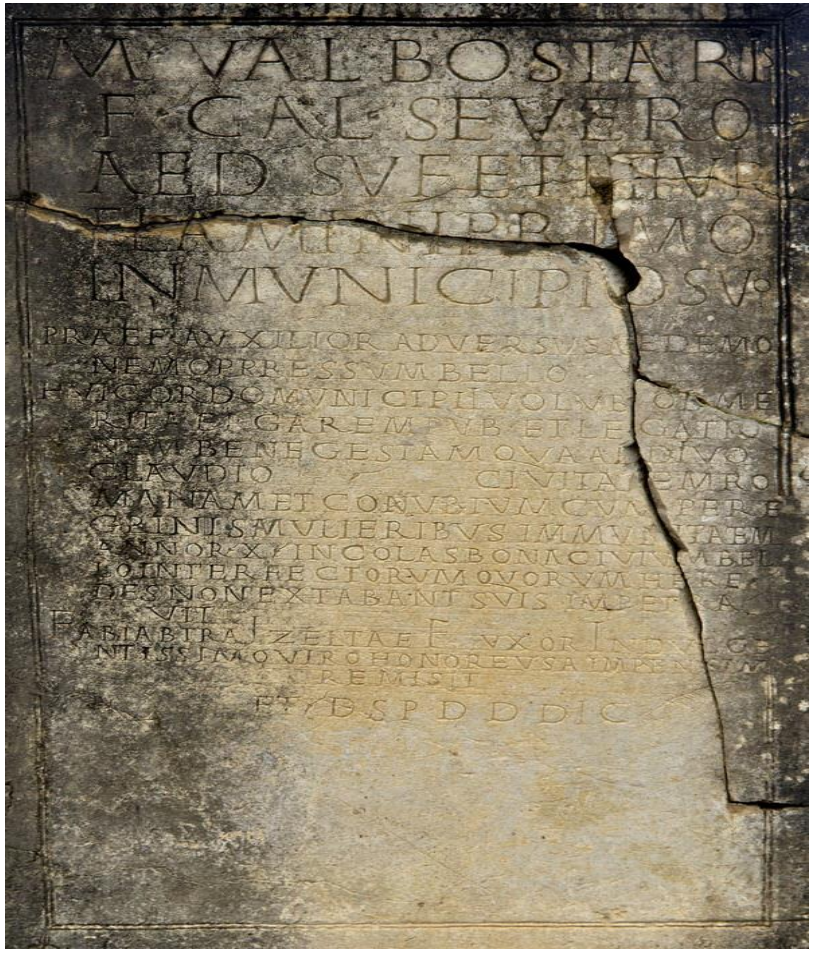

ثورة أيدمون : موريةأم رومانية

- تعتبرها المصادر التاريخية الرومانية بمثابة الرد المباشر الذي نتج عن هذا الحدث. وهذا ما نجده عند بلينيوس الشيخ الذي صرح بأن "*العبد المحرر أيدمون بادر إلى الثأر له*»
- تعتبر نقيشة ماركوس فاليريوس سيفيروس بوليلي من أهم المصادر التي التي تؤرخ لأحداث هذه الفترة كفيلة بتسليط بعض الضوء على هذه الفترة.

اعتمدت الثورة على اعتماد سياسة الأرض المحروقة" كما يدل على ذلك تخريب المو اقع القروية والمدن الشمالية الساحلية.

ثورة سالابوس

أورد بلينيوس الشيخ وديون كاسيوس إشارات هامة عن ثورة سالابوس في شرق المغرب جعلت من سالابوس زعيم حلف باكواطي مكنيتي, خاض معارك ضد قادة رومانيين كبار من قبيل سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا، أسفرت هذه المواجهات على معاهدة السلم الموقعة بين الطرفين الموري والروماني في حدود سنة 43 م.

تكوين الأحلاف الفيدرالية القبلية

- ازدادت التوترات بين الموريين والرومان خلال مرحلة السلم الروماني، أدى إلى بعد انتفاضة الموريين سنة 118م.
- أعقبتها انتفاضة البكو اتيين بالأطلس المتوسط سنة 122 م
- دخل البكو اتيون في تحالف فيدرالي مع قبيلة الماكنتيين مما دفع بالوليليين إلى الاحتماء بإقامة أسوار المدينة ما بين 168 و 169 م
- تكوين الأحلاف الفيدرالية القبلية بين البكو اتيين والماكنتيين سنة 173/ 175 م.، ثم بين البكو اتيين والبافاريين سنة 223 /234 م

-نتج عن مواجهة القبائل المورية مع القوة العسكرية الرومانية أن تراجعت روما من أحواز وليلي منذ 280 وتقوقعت في شبه الجزية الطنجية التي كانت تابعة لبيتكا الرومانية

أهم الثورات المحلية بين القرنين الاول والثالث

الفترة الزمنية	فترة الحكم	القبيلة	المجال
20 ق.م-6 م	أغسطس	الجيتول، الكرامانت، الموسولام	فزان ، تهالا.
17- 24 م.	تيبريوس	المسولام، المور	جبال الأطلس وجنوب نوميديا
68-75 م.	بين كالبا و فسبلسيانوس.	المور، الكرامانت	موريطانيا، الطر ابلسية
80-86م.	دومسيانوس.	الناسامون، المور.	ضواحي كرتة.
98-117م.	تر ايانوس	الموريون	م.الطنجية.
118-122 م.	أدريانوس	البكوات	موريطانيا، كرطناي.
144-152 م.	انطونينوس	تعميم الثورة	كرتة.
174 م.	ماركوس اورليوس	البكوات	وليلي، جيريفيل
188 م.	كومودوس	الموريون.	موريطانيا القيصرية
209-211 م.	س.سيفيروس	قبائل غير معروفة	الطر ابلسية
226-227 م.	يويروس ألكسندر	الموريون	الطنجية وشرق القيصرية
238-240 م.	كورديانوس	مباغتات جيتولية	البروقنصلية
253-262 م.	كاليانوس	البفار	كرتة
289-298 م.	ديوقلتيانوس	ثورة عامة	ش.افريقيا
		19 ثورة	

معاهدات السلم بين روما وزعماء القبائل الأمازيغية

قادة قبائل الماكنيت والبكوات	زمن المعاهدة	فترة الامبراطور	عدد المعاهدات
ايليوس توكودا(البكوات)	140-139 م	انطونينوس	
أوكمتيو(الماكنيت والبكوات)	175-173 م.	ماركوس اورليوس	خمس معاهدات
اورليوس كنارطا	180 م.	كومودوس	
اوريت	200-180م.	" "	
ايليلاسن	200 م.	س.سيفيروس	معاهدة واحدة
سيبمازين	245 م.	فيليبوس.	
يوليوس ماتيف	277 م.	بروبوس	معاهدتان
يوليوس نوفوزي	280 م.	" "	
يوليوس ميرزي	280 م.	" "	
المجموع	9 معاهدات		

زعماء وملوك بعض قبائل موريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين

اسم القبيلة	زعيم القبيلة	الفترة الزمنية	المرجع
البكوات	ايليوس توكودا	140-139م	BAM, 2 , 1957 , p. 67, IAM , 2 , 376
الماكنيت والبكوات	أوكمتيوس	175-173 م.	AE , 1957 , 202.
البكواط	اورليوس كنارطا	13 اكتوبر 180 م.	CIL , VI , 1800, IAM , 2 , 349
" "	اليلاسن	8 مارس 200 م	IAM , 2 , 350..
البفار والبكواط	مجهول	234-232 م	BAM,1957, p.69, IAM , 2 , 402
البكواط	" "	241 -239 م	IBID, IAM , 2 , 357
" "	سبمازين	245 م.	AE, 1954, 110, IAM , 2 , 359
" "	يوليوس نوفوزي	280 م.	IAM , 2 , 360
الزغرنسيين	أورليوس يوليانوس	177 م.	CRAI, 1961, p.317.
البكواط	يوليوس ماتيف (ملك)	277 م.	IAM , 2 , 360.
المجموع	10 ألقاب أميرية وملكية		

المقامة الدينية

1 - المحافظة على عبادة الآلهة المحلية من قبيل عبادة الإله باخوس والإلهة تانيث والإله أمون

2 - انصهار العادات الواردة مع الرومان في العادات والتقاليد المحلية، من تقديس الكبش وقرص القمر

3 - استقرار المسيحين الأوائل المضطهدين من قبل الرومان بشمال أفريقيا (القديس أوغسطس)

4 - التعايش الديني بين العناصر اليهودية والمسيحيين وعدم اتخاذ دين رسمي للدولة بشمال إفريقيا،

المقامة الثقافية

1. الحفاظ على اللغة الأمازيغية واستعمال حرف التيفناغ

2 - استمرار استعمال الحروف البونية والتيفناغ في الكتابة على شواهد القبور والمزارات

3 - استمر الأمازيغ في ممارسة فنونهم وحرفهم التقليدية مثل صناعة الفخار والنسيج والزخرفة.

4 - لعب الشعر والغناء والقصص الشعبية دورًا كبيرًا في نقل التراث الثقافي الأمازيغي.

5 - حافظ الأمازيغ على عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية مثل الاحتفالات والمناسبات الخاصة.

6 - استمر الأمازيغ في بناء القرى والمنازل التقليدية التي تعبر عن ثقافتهم وتناسب البيئة المحلية.

7 - ارتدى الأمازيغ الأزياء التقليدية التي تعبر عن هويتهم الثقافية